❖ المحور الثاني: علاقة اللفظ بالمعنى:

❖ ثالثا. التضاد

- **تعريف التضاد:**

لغة: الضد مثل الشيء، والضد خلافه[1]، وفي المقاييس: «الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس، فالأولى: الضد ضد الشيء. والمتضادان: الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار»[2].

اصطلاحا: التضاد عند أهل اللغة أن يقع اللفظ على المعنى وضده، نحو «المولى» للمنعِم المعتِق، وللمنعَم عليه المعتَق، والجون يطلق على الأبيض والأسود[3]، ويقال عنه أيضا: الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ واحد[4].

- **الفرق بين المشترك اللفظي والتضاد:**

1. المشترك أعم من التضاد، لأنه فرع عنه، فكل متضاد مشترك، وليس العكس.
2. المشترك يدل على معان متعددة، ولا يلزم أن تكون متضادة، أما المتضاد فيدل على معنيين فقط ويلزم أن يكونا متضادين[5].

- **أسباب وقوع التضاد:**

التضاد نوع من المشترك اللفظي، وقد ذكر علماء اللغة دوافع مختلفة لوقوع التضاد في العربية:

- رغبة العرب في التدليل على اتساع كلامهم، قال قطرب[6] (ت 206 ه): «إنما أَوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلّوا على اتساعهم في كلامهم، ليدلّوا على أَنَّ الكلام واسعٌ عندهم، وأَنَّ مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب.

---

1 لسان العرب، ابن منظور، مادة (ضد)

2 مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3 ص360

3 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص310

4 فقه اللغة، مفهومه وموضوعاته وقضاياه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص186

5 المرجع نفسه، ص186-187

6 محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو أول من «المثلث» في اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه «سيبويه» فلزمه. وكان يؤدب أولاد أبي دلف العجليّ. من كتبه "معاني القرآن" و"النوادر"، و"الأزمنة" و"الأضداد" و"خلق الإنسان" و"ما خالف فيه الإنسان البهيمية الوحوش وصفاتها" و"غريب الحديث". الأعلام للزركلي ج7 ص95

إذا وقع الحرفُ على معنيين متضادّين، فالأَصلُ لمعنًى واحد، ثمَّ تداخل الاثنان على جهة الاتساع. فمن ذلك: الصّريم، يُقَالُ لليل صَريم، وللنهار صَريم، لأنُ الليل ينصرِم من النهار، والنهار ينصرِم من الليل، فأَصلُ المعنيين من باب واحد، وهو القَطْع»[1].

- اختلاف دلالة اللفظ من قبيلة إلى أخرى، حيث تستعمل قبيلة ما اللفظ للدلالة على معنى معين، ثم تستعمل قبيلة أخرى اللفظ نفسه لمعنى ثان، وقد يكون المعنيان متضادين، قال الأنباري (ت 328 ه): «إذا وقع الحرفُ على معنيين متضادين، فمحال أَن يَكون العربيّ أَوقعه عليهما بمساواةٍ منه بينهما ولكنّ أَحد المعنيين لحيٍّ من العرب، والمعنى الآخر لحيٍّ غيره، ثمَّ سَمِعَ بعضُهم لغَة بعض، فأَخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: فالجَوْن الأَبيض في لُغَة حيٍّ من العرب، والجَوْن الأَسود في لُغَة حيٍّ آخر، ثمَّ أَخذ أَحد الفريقين من الآخر»[2].

ومن ذلك لفظ وثب، المستعمل عند "حمير" بمعنى قعد، وعند مضر بمعنى طفر.

- قد يستعمل اللفظ في ضد ما وضع له لمجرد التفاؤل، كالمفازة في المكان الذي تغلب فيه الهلكة، فقد سميت بذلك تفاؤلا بالسلامة، وكالسليم للملدوغ[3].
- كما قد يستعمل اللفظ في ضده لمجرد التهكم والسخرية، أو اتقاء التلفظ بما يكره التلفظ به، أو ما يمجه الذوق، ويؤلم المخاطب، كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه والأحمق، والأبيض على الأسود، والمولى على العبد، والبصير على الأعمى[4].
- قد يجيء التضاد من انتقال اللفظ من معناه إلى آخر مجازي لنكتة، بلاغية، كقوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾، فالفعل الثاني غير مستعمل في معناه الأصلي، لأن الله لا يجوز عليه السهو والنسيان، بل فيه دلالة على الإهمال والترك على سبيل الاستعارة، وبعد أن يكثر استعمال الكلمة في ضد مدلولها، ويتناسى فيها وجه المجاز، ويصبح إطلاقها على ما يقابل مدلولها الأصلي في قوة استخدام اللفظ في حقيقته[5].

1 الأضداد، أبوبكر محمد بن الأنباري، ص8

2 المصدر نفسه، ص12

3 فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص 149

4 المرجع نفسه، ص 149-150

5 المرجع نفسه، ص 150

- **اختلاف العلماء في التضاد:**

اختلف العلماء في التضاد على أقوال مثلما اختلفوا سابقا في المشترك اللفظي، إلى ثلاثة فرق:

- الفريق الأول: يضم هذا الفريق الخليل وسيبويه وابن فارس، وابن سيدة والثعالبي والمبرد والسيوطي، وقد ذهب أنصار هذا الفريق إلى كثرة ورود التضاد في اللغة العربية، وذكروا لذلك عددا كبيرا من الأمثلة، فقد أحصى السيوطي وابن سيدة ما يزيد على المائة، وقد ألفت في هذا الباب المؤلفات، من أبرزها كتاب الأضداد للأنباري، حيث أحصى ما يزيد على الأربعمائة لفظا من الأضداد[1].
- الفريق الثاني: على رأس هذا الفريق ابن درستويه الذي ألف كتابا سماه «إبطال التضاد»، وقد أنكر وجود التضاد في العربية، وعمل أنصار هذا الفريق على تأويل أمثلته تأويلا يخرجها من باب التضاد.

ونقل عن ابن سيدة أن أحد شيوخ أبي علي الفارسي كان ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة، وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده[2]. وثبت عن أبي العباس ثعلب قوله: ليس في الكلام ضد، لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا، لأنه لا يكون الأبيض أسود، ولا الأسود أبيض، وكلام العرب وإن اختلف اللفظ، فالمعنى يرجع إلى أصل واحد، فالصارخ المستغيث والصارخ المغيث، لأنه صراخ منهما[3]...

- الفريق الثالث: يتبنى الاعتراف بالتضاد، مع ضوابط تخرج الكثير من أمثلته التي ذكرها مؤيدي التضاد من بابه، لكنها مع ذلك تقر بوجوده في بعض الأمثلة، وهذا مذهب الكثير من العلماء المحدثين[4].

يرى د. علي عبد الواحد وافي أنه من التعسف إنكار التضاد ومحاولة تأويل أمثلته جميعا تأويلا يخرجها عن هذا الباب، وذلك أن بعض أمثلته لا تحتمل أي تأويل، ويدعم الدكتور بما ورد عن ابن درستويه أبرز منكري التضاد، وهو يعترف بوجود النادر من تلك الألفاظ[5]، فيقول: « وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد، للدلالة على

1 فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص148-149، وفقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص311

2 المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1: 1417هـ، ج4 ص173

3 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص312

4 المرجع نفسه، ص312

5 فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص 149

معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد للآخر، لما كان في ذلك إبانة، بل كان تعمية وتغطية. ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل»[1].

ثم يضيف د. علي عبد الواحد معلقا على مؤيدي كثرة التضاد، فيقول: غير أنه لم يكثر وروده في اللغة العربية على الصورة التي ذهب إليها هؤلاء، وذلك أن كثيرا من الأمثلة التي ظن أنها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها من هذا الباب[2]، وأوجه التأويل التي يمكن أن يؤول بها الكثير من ألفاظ التضاد يعود بعضها في حقيقة الأمر إلى الأسباب والدوافع التي كانت سببا في نشأة التضاد في اللغة العربية، كالرغبة في التفاؤل باللفظ، أو التهكم، أو ترك ما يتحاشى ذكره...

ويوافق د. صبحي الصالح رأي د. علي عبد الوافي، ويرفض تبني مذهب ابن درستويه، فيقول: «على أننا لن نذهب مذهب ابن درستويه في إنكار التضاد إطلاقًا؛ فإن قدرًا منه ولو ضئيلًا لا بد من التسليم به، ولكننا في القدر الذي نسلم به وفي القدر الذي ننكره ونؤوله تأويلًا آخر مناسبًا للسياق نجد أنفسنا طوعًا أو كرهًا أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى التعاكس»[3].

▪ التضاد والطعن في العربية:

اعتبر بعض أعداء اللغة العربية من الشعوبية[4] التضاد منقصة للغة العربية، وقالوا إنه دليل على نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في كلامهم[5]، وقد رد عليهم ابن الأنباري، فقال: «أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد»[6]، وأضاف ابن الأنباري أن المعول عليه في

1 تصحيح الفصيح وشرحه، أَبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان، تح: د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة، 1419 هـ، ص71

2 فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص 149

3 دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح، ص313

4 الشعوبية تهدف إلى ضرب العروبة والإسلام، والطعن في رجالات المسلمين البارزين، وهم الذين يكنون كل حقد وكراهية للعرب، لا لمجرد جنسيتهم؛ ولكن للدين الذي يحملونه ويسعون في نشره، وأن هذا الصنف استغل التشيع ليحقق من خلاله كيده وعدوانه ضد الأمة ودينها، وأن هذا الصنف استغل التشيع ليحقق من خلاله كيده وعدوانه ضد الأمة ودينها، وهكذا كان كثير من الشيعة الفرس دعاة ورعاة للشعوبية الحاقدة على كل ما هو عربي ومسلم.

5 فقه اللغة، مفهومه وموضوعاته وقضاياه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص189

6 الأضداد، ابن الأنباري، ص2

التمييز بين المعنيين المتضادين للفظ الواحد على السياق، وضرب لذلك مثالا، قال الشاعر:

كل شيء ما خلا الموت جلل ❖❖❖ والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدل ما تقدم قبل جلل وتأخر بعده على أن معناه: كل شيء ما خلا الموت يسير؛ ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل هاهنا معناه عظيم[1].

ويؤكد بعض المحققين هذا النهج، فيقول: رأي الشعوبية في التضاد، رأي باطل لا يرجع إلى حقيقة أو صواب، بل يرجع إلى حقد وضغينة على العرب، في نفوس هؤلاء الشعوبيين من غير العرب، لأن مرد الأمر في مسألة الأضداد في اللغة إلى سياق الكلام، وتعلق أوله بآخره، وإلى قرائن الحال التي يكون فيها الناس أثناء التخاطب[2].

- **أمثلة عن التضاد:**

مقتبسة من كتاب فقه اللغة، مفهومه وموضوعاته وقضاياه[3] لمؤلفه إبراهيم الحمد.

المولى: المنعِم المعتِق، والمنعَم عليه والمعتَق.

الصريم: القطعة من الليل أو النهار، لأن كل واحد منهما يصرم صاحبه، أي يقطعه.

عسعس: عسعس الليل إذا أدبر، وعسعس إذا أقبل.

الصريخ: يقال للمستغيث والمغيث.

طرب: طرب اهتز فرحا، وطرب حزن.

سارب: السارب: ذاهب على وجهه في الأرض أي المتواري، والسارب: الظاهر.

السليم: سليم للسالم، وسليم للملدوغ.

الناهل: للعطشان أو الريان.

الحميم: للماء البارد أو الحار.

الغريم: الدائن، والمدين.

- **ألفاظ يعتقد أنها من التضاد وهي ليست كذلك:**

- قد يرد التضاد في الظاهر من دلالة الكلمة في أصل وضعها على معنى عام، يشترك فيه الضدان، فتصلح لكل منهما لذلك المعنى الجامع، وقد يغفل عن ذلك المعنى الجامع فيظن الكلمة من قبيل التضاد، مثل: «القرء» في إطلاقه على الحيض والطهر، لأن

1 الأضداد، ابن الأنباري، ص2

2 (مقدمة عزة حسن لتحقيق أضداد أبي الطيب اللغوي) نقلا عن: فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص313-314

3 فقه اللغة، مفهومه وموضوعاته وقضاياه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص192-195

معناه في الأصل الوقت المعتاد، جاء في اللسان: «والقرء: الوقت، والقرء: الحيض، والطهر ضد، وذلك أن القرء الوقت، فقد يكون للحيض والطهر، قال الشافعي رحمه الله: القرء اسم للوقت فلما كان الحيض يجيء لوقت، والطهر يجيء لوقت جاز أن يكون الأقراء حيضا وأطهارا»[1]، ومن ثم يستعمل في الحيض والطهر لأن كليهما وقت معتاد للمرأة[2].

- اتفاق اللفظين في الصيغة الصرفية، فينشأ من هذا الاتفاق لبس في معنى الصيغة، يؤدي إلى عدها من الأضداد، في حين أنها ليست كذلك، مثل: مُرتدٌّ، مُبْتَاع، مُحْتَل، مختار، فقد دل كل منهم على الفاعل والمفعول في آن واحد، والسياق هو الذي يحدد المقصود من اللفظ[3].

❖ أسئلة للمناقشة (التضاد):

- التضاد نوع من المشترك اللفظي، فهل ثمة فرق بينهما؟
- لماذا يقع التضاد في اللغة العربية؟
- هل اختلف العلماء في إثبات التضاد وإنكاره؟
- هل يمكن أن يكون التضاد ذريعة للطعن في اللغة العربية؟

1 لسان العرب، ابن منظور، مادة (قرء).

2 فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص 150

3 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص310